﴿المحا رة - 12 - الثانية عشرة﴾
الأدب الجزائري في عهد الدولة المرينية

عناصر الدرس

1- تاريخ الدولة المرينية
2- المرينيون في الجزائر
3- علاقة الدولة المرينية بالدولة الزيانية
4- الحركة الثقافية في الدولة المرينية
5- الحياة الأدبية في الدولة المرينية
6- أعلام أدبية جزائرية في ظل الدولة المرينية ، ومختارات من أدبهم
7- الأدب الجزائري خلال العهد المريني (خصائصه، تطوره، وأثره)

1- تاريخ الدولة المرينية:

ينتمي بنو مرين إلى قبيلة زناتة (668-869هـ، 1269-1465م) ، وقد بدأ أمرهم بالظهور في جنوب المغرب الأقصى بقيادة أبي محمد عبد الحق بن محيو، الذي هزم جيش الموحدين سنة 613هـ، 1216م. لكن دولة بني مرين لم تتشكل فعليًا إلا مع أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق المعروف بالسلطان المنصور، الذي استولى على مراكش سنة 668هـ، 1269م، وانقرضت على يديه دولة الموحدين سنة 674هـ، 1275 - 1276م. حاولت الدولة المرينية أن تبسط نفوذها على كامل بلاد المغرب، وتؤسس دولة كبيرة على نمط الموحدين. لكنها لم تفلح في ذلك إلا لفترات قصيرة، وسرعان ما عادت دولة إقليمية محدودة.

فقد جهز أبو الحسن المريني سنة 1347م حملة على مدينة تونس، ومني من قبل الحفصيين بهزيمة منكرة كادت أن تطيح بأسرة بني مرين في مراكش ذاتها. كما ورثت الدولة المرينية، بحكم موقعها الجغرافي، تقاليد سياسة الموحدين في الأندلس وتقديم المساعدات لمسلميها. لكن الخلافات التي دبت بينها وبين دولة بني الأحمر، في غرناطة، حول تملك بعض الموانى الأندلسية، أضعفت قدرة المسلمين على المقاومة، وعرض المغرب الأقصى نفسه لغزو الدول النصرانية الناشئة، منذ بداية القرن التاسع الهجري (بداية القرن الخامس عشر الميلادي)، حتى سقطت سبتة في أيدي البرتغاليين سنة 1415م.

فضعف أمر المرينيين، وزاد وضع دولتهم سوءًا بتفشي المنافسات الداخلية بعد مقتل السلطان أبي سعيد سنة 1420م، وتدخل دولتي بني الأحمر وبني عبد الواد في تلك المنافسات لتأييد هذا أو ذاك من المدعين العرش، حتى انتقل الحكم إلى أيدي الوطاسيين في منتصف القرن التاسع الهجري، وأسلاف الوطاسيين فرع من بني مرين سيطروا على فاس سنة 875هـ، 1471م، ولم يبق للمرينيين سلطان بعد ذلك تقريبًا إلا بمدينة مراكش. لكن الصراع استمر بين الأسرتين الحاكمتين، واستعان المرينيون على الوطاسيين بالغزاة البرتغاليين، فاستولى هؤلاء سنة 956هـ، 1550م، على ساحل البريجة، حيث بنوا مدينة الجديدة، ثم على ساحل السوس، حيث بنوا حصن فونتي قريبًا من مدينة أغادير الحالية. ولم ينقذ البلاد من الخطر البرتغالي إلا ظهور الأسرة السعدية[1].

[1]- ينظر: قرص الموسوعة العربية العالمية، مرجع سابق، مادة: الدولة المرينية.

2- المرينيون في الجزائر[1]**:** "إن الحدود الجزائرية في ذلك العصر هي عينها المعروفة اليوم بحدودها الثلاثة: الشمالية والغربيو؛ إلا أن الحد الشرقي منها فإنه كان تارة يمتد إلى تونس وتارة لا يتعدى حدود أعمال قسنطينة وبجاية. وكذلك الحد الغربي فإنه كان ينتهي بتاوريرت كما ذكره ابن خلدون، وهي اليوم داخل المغرب الأقصى"

3 علاقة الدولة المرينية بالدولة الزيانية:

الضغائن بين مرين وعبد الواد قديمة، ناشئة عن الجوار في الوطن ثم في الملك وعن المنافسة في الاستقلال برئاسة زناتة، فكثرت الحروب بينهما، وكان ملك مرين أعظم، فكان الفوز لهم غالبا، فلما احتضر يغمراسن اوصى خلفه بمسالمة مرين والتوسع في مملكة الحفصيين، لكن مرين التي لا يرضيها مقاسمة عبد الواد لها رئاسة زناتة كانت تتجنى عليهم تارة بانهم آووا ثائرا عليها، ولم يكن يومئذ تسليم المجرمين السياسيين من الحقوق المقررة بين الدول، وأخرى بأنهم ردوا شفاعتها في مجرم سياسي من رعاياهم أو في تخلية سبيل الممالك[2]..

4- الحركة الثقافية في الدولة المرينية:

عُرف عصر بني مرين بعصر العلم، وهو بحق كذلك خاصة في الفترة الأولى من عمر الدولة، في عهد يوسف وأبي سعيد وأبي الحسن. حيث بلغت الحركة الفكرية من القوة والازدهار أعلى مراتب التقدم؛ وقد ساعد على ذلك الازدهار جملة من العوامل منها: هجرة العلماء الأندلسيين بكثرة إلى المغرب بعدما بدأت مدنهم تسقط الواحدة تلو الأخرى. والتشجيع المادي والأدبي الذي كان سلاطين المغرب يخصون به العلماء والأدباء وما ذلك إلا لأدبية متأصلة فيهم ولحبهم للأدب. ومنها العناية ببناء المدارس وخزائن الكتب المجاورة وحبسها، ولا أدل على ذلك مدرسة العطارين والمدرسة العنانية في فاس[3].

ومما ساعد أيضا على تنشيط الحركة العلمية استتباب الأمن وزيادة المال، وانتشار دور العلم من الكتاتيب والمساجد والمدارس والزوايا. وقد ورث المرينيون الكثير من تلك المرافق التعليمية من الدويلات السابقة لها، والتي تأسست على أرض المغرب: الدولة الإدريسية والمرابطية والموحدية، وهم بدورهم أضافوا عليها. وقد كان الطالب يتعلم مبادئ العربية وتهجي حروفها وكتابتها وحفظ القرآن في الكتاتيب، ثم ينتقل إلى المسجد ليستمع إلى الدروس الفقهية والصوفية وغيرها، ومنها إلى المدارس التي هي في الأصل من إنشاء الدولة. ثم إلى العصامية بالاستفادة من المكتبات التي كانت في كل مسجد[4].

5- الحياة الأدبية في الدولة المرينية:

كان هذا العصر هو العصر الذهبي للعلوم الأدبية في المغرب، وعليه فيكون هو أزهى عصور الإنتاج الأدبي فيه، ولم يبلغ الوسط الأدبي في المغرب من الرقي ما بلغه في هذا العصر، فقد اشترك في تكوينه جميع الطبقات من الملوك فمن دونهم من السوقة، الذين أثرت فيهم نهضة علوم اللسان العربي ومكنت لهم من تذوق أسرار اللغة وتفهم أغراض

---

[1]- عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج2، ص76.

[2] - مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج2، ص422.

[3] - ينظر: محمد الأمين محمد وآخر، المفيد في تاريخ المغرب، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، دط، دتط، ص202-205.

[4] - ينظر: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي 10 عصر الدول الإمارات، ص330-336.

الأدب. كما ظهر في هذا العصر الشعر العامي، الذي يتأكد لنا من خلاله تمكن البربر من العربية وإلا ما استطاعوا النظم بها وبالأسلوب العربي. وقد أغرى هذا الوسط كثيرا من الشخصيات الأدبية الكبيرة على الهجرة من الجزائر والأندلس إلى فاس عاصمة المرينيين.

ويرى عبد الله كنون أن الأدب بلغ في هذا العصر كماله وشق لنفسه طريقا تمثلت فيه عواطف أهله وسجاياهم، فبلغ الغاية بل زاد وتفنن وأبدع خاصة في الشعر. ليجد الباحث الحقيقة تسبق الخيال، والطبع يغلب الصنع، والقصد إلى الوضوح أكثر من التعمق والرقة، والجزالة والسهولة في غير ضعف ولا غرابة[1]. ومما تنبغي الإشارة إليه أن أغراضا شعرية ظهرت إلى جانب الأغراض التقليدية المعروفة، وهي الموشحات والأزجال، التي اكتسبها المرينيون نتيجة احتكاكهم بإخوانهم الأندلسيين.

6- أعلام أدبية جزائرية في ظل الدولة المرينية، ومختارات من أدبهم: شارك في الحياة الثقافية المرينية كثير من الجزائريين، وعلى الأخص منها الحياة الأدبية، ولقد لمع نجم ثلاثة منهم ممن ثبتت لدينا نصوص لهم، وهم: ابن مرزوق الخطيب علي الخزاعي. وكان لابن مرزوق خاصة باع في الأدب والسياسة والمجتمع، كيف لا وهو أستاذ لسان الدين بن الخطيب.

- **ابن مرزوق الخطيب**[2]: له كتاب سماه: المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن[3]، هذا الذي خصه بالكتاب وصوره فيه تصويرا وافيا بعد وفاته وأهداه لبنيه.

قال ابن مرزوق[4] - مزكيا السلطان أبا الحسن المريني في باب الجهاد-: "اعلم أن إمامنا كان أشد ملوك الأرض قياما بهذا الفرض، بنفسه الكريمة ومالِهِ، ابتغاء وجه الله ورجاء ثوابه. أما جهده بنفسه فقد علم مباشرته لذلك - رضي الله عنه- نفسه وإجازته البحر لذلك وحرصه على مباراة ذلك بنفسه نفعه الله به وإما إقامته حال المجاهدين فلم يزل ذلك دأبه رضي الله عنه فلا يزال طول دهره معمور الفكر مشغول الظاهر بالجهاد فلا تمر سنة إلا وله فيها تجهيز أسطول وتجهيز غزاة رجالا وركبانا في كل وجهة في أيام الحرب/ عملا وفي أيام السلم استعدادا"

وقال ابن مرزوق[5]: "كان - رضي الله عنه- لين الجانب، قليل العتاب، أسرع الناس قبولا للمعاذير، وإقامة الحجة، وقد قدمنا ما كان عليه من الحياء رضي الله عنه، والحياء هو الذي يبعث على قبول المعذرة، وكثرة الحشمة يمنع من الاستقصاء في البحث عن العثرة".

ويقول ابن مرزوق[1]: - في تزكية النسب الشريف لبني مرين- "لا نزاع في أنهم أشرف قبائل المغرب، وفاقا بين المؤرخين، وأنهم وارثوا ملك المغرب الأقصى، وقد ورثوا

---

[1] - عبد الله كنون، النبوغ المغربي في الأدب العربي، ج1، ص222-225.

[2] - سبقت الترجمة له في محاضرة الأدب الجزائري في عهد الدولة الحفصية، ص؟.

[3] - المَنْصور المَرِيني 697 - 752 هـ = 1297 - 1351 م علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني، أبو الحسن، المَنصور بالله: من كبار بني مرين، ملوك المغرب. كان يعرف عند العامة بالسلطان الأكحل، لسمرة لونه، وأمه حبشية. بويع بفاس بعد وفاة أبيه سنة 731 هـ بعهد منه. وكان مع بطولته له اشتغال بالأدب، يقول الشعر ويجيد الإنشاء" - خير الدين الزركلي، الأعلام، ج4، ص311.

[4] - ابن مرزوق محمد التلمساني، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تح ماريا خيسوس بيغيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 1981، ص388 - 389.

[5] - ابن مرزوق محمد التلمساني، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، ص319.

ملك المغرب الأوسط،/ فبنوا مرين - أعزهم الله- أعلام زناتة، ورؤساؤها وكبار قبائلها، وعظماؤها../ وحدثني مولانا أمير المسلمين.. رفع نسبهم للدوحة النبوية والنبعة الحسنية".

ابن مرزوق يصور حاة السلطان مع والدته: "لم ير الراؤون في عصرهم أبر منه - رضي الله عنه- بأمه؛ اتفق جميع من عرفها وخدمها على أنه - رضي الله- ما خرج قط غدوا إلا بعد أن يقبل قدميها، ولا دخل قط عشاء إلا وفعل مثل ذلك؛ وهذا مما وقع الاجتماع عليه مشاهدة وسماعا"[2].

وقال ابن مرزوق الخطيب مرحبا بابن الخطيب الوافد على السلطان المريني بما نصه[3]:

يـــا قادمـــا وافـــى بكـــل نجـــاح ... أبشـــر بمـــا تلقـــاه مـــن أفـــراح
هـــذي ذرى ملـــك الملـــوك فلـــذ بهـــا ... تنـــل المنـــى وتفـــز بكـــل ســـماح
مغنـــى الإمـــام أبـــي عنـــان يممـــن ... تظفـــر ببحـــر بالنـــدى طفـــاح
مـن قـاس جـود أبـي عنـان فـي النـدى ... بســـواه قـــاس البحـــر بالضحضـــاح
ملـــك يفـــيض علـــى العفـــاة نوالـــه ... قبـــل الســـؤال وقبـــل بســـطه راح
فلجـود كعـب وابـن سـعد فـي النـدى ... ذكـــر محـــاه عـــن نـــداه مـــاح
مـــا أن ســـمعت ولا رأيـــت بمثلـــه ... مـــن أريحـــي للنـــدى مرتـــاح
بســط الأمـــان علـــى الأنـــام فأصـــبحوا ... قـــد ألحفـــوا منـــه بظـــل جنـــاح
وهمـــي علـــى العـــافين ســـيب نوالـــه ... حتـــى حكـــى ســـح الغمـــام الســـاح
فنوالـــــه وجلالـــــه وفعالـــــه ... فاقـــت وأعيـــت ألســـن المـــداح

ومن الشعر المنسوب إلى محاسنه، ما أنشد عنه، وبين يديه، في ليلة الميلاد المعظم، من عام ثلاثة وستين وسبعمائة بمدينة فاس المحروسة[4]: [مجزوء الرجز]

أيـــا نســـيم السّـــحر ... بـــالله بلّـــغ خبـــري
إن أنـــت يومـــا بـــالحمى ... جـــررت فضـــل المئـــزر
قســـيّ ســـير مـــا ســـوى ال ... عـــزم لهـــا مـــن وتـــر
حتـــى إذا الأعـ ـلام حـــل ... لـــت لحفـــيّ البشـــر
واستبشـــر النـــازح بـــال ... قـــرب ونيـــل الـــوطر
وعـــيّن الميقـــات للـــسّ ... فـــر نجـــاح السّـــفر
والنـــاس بـــين محـــرم ... بـــالحجّ أو معتمـــر
لبّيـــك لبيـــك إل ... ه الخلـــق بـــاري الصّـــور
ولاحـــت الكعبـــة بـــي ... ت الله ذات الأثـــر
مقـــام إبـــراهيم وال ... مـــأمن عنـــد الـــذّعر
واغتـــنم القـــوم طـــوا ... ف القـــادم المبتـــدر
وأعقبـــوا ركعتـــي الـــسّ ... عـــي اســـتلام الحجـــر

---

[1] - ابن مرزوق محمد التلمساني، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، ص107- 109.

[2] - ابن مرزوق محمد التلمساني، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، ص240.

[3]- أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري/ محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، دط، 1951، ج3، ص192- 193.

[4] - لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1424هـ، ج3، ص80-86.

وعرّفـــــوا فـــــي عرفـــــا ت كـــــلّ عـــــرف أذفـــــر
ثـــم أفـــاض النـــاس ســـع يـــا فـــي غـــد للمشـــعر
فوقفـــــــوا وكبّـــــــروا قبـــل الصـــباح المســـفر
وفـــي منّـــى نـــالوا المنـــى وأيقنـــــوا بـــــالظّفر
وبعـــد رمـــي الجمـــرا ت كـــان خلـــق الشّـــعر
أكـــرم بـــذاك الصّـــحب وال لـــــه وذاك النّفـــــر
يـــا فـــوزه مـــن موقـــف يـــا ربحـــه مـــن متجـــر
حتـــى إذا كـــان الـــودا ع وطـــواف الصّـــدر
فـــأيّ صـــبر لـــم يخـــن أو جلـــد لـــم يغـــدر
وأيّ وجـــد لـــم يصـــل وســـلوة لـــم تهجـــر
مـــا أفجـــع البـــين لقـــل ب الوالـــه المســـتغفر
ثـــم ثنـــوا نحـــو رســـو ل الله ســـير الضّـــمّر
فعـــاينوا فـــي طيبـــة لألاء نـــور نيّـــر
زاروا رســـول الله واس تشـــفعوا بلـ ـثم الجـــدر
نـــالوا بـــه مـــا أمّلـــوا وعرّجـــوا فـــي الأثـــر
علـــى الضّـــجيعين أبـــي بكـــر الرّضـــا وعمـــر
زيـــارة الهـــادي الشّـــفي ع جنّـــة فـــي المحشـــر
فأحســـن الله عـــزا ء قاصـــد لـــم يـــزر
ربـــع تـــرى مســـتنزل ال آي بـــه والسّـــور
وملتقـــى جبريـــل بـــال هـــادي الزّكـــيّ العنصـــر
وروضـــة الجنّـــة ب يـــن روضـــة ومنبـــر
منتخ ـب الله ومـــخ تـــار الـــورى مـــن مضـــر
والمنتقـــى والكـــون مـــن ملابـــس الخلـــق عـــري
إذ لـــم يكـــن فـــي أفـــق مـــن زحـ ـل أو مشـــتري
ذو المعجـــزات الغـــرّ أم ثـــال النجـــوم الزّهـــر
يشـــهد بالصّـــدق لـــه منهـــا انشـــقاق القمـــر
والضّـــبّ والظّبـــي إلـــى نطـــق الحصـــى والشّـــجر
مـــن أطعـــم الألـــف بصـــا ع فـــي صـــحيح الخبـــر
والجـــيش روّاه بمـــا ء الرّاحـــة المنهمـ ـر
يـــا نكتـــة الكـــون التـــي فاتـــت منـــال الفكـــر
يـــا حجّـــة الله علـــى ال رائـــح والمبتكـــر
يـــا أكـــرم الرّســـل علـــى ال لـــه وخيـــر البشـــر
مـــا بعـــد شـــيب الفـــود مـــن مرتقـــب فشـــمّري
أنـــت وإن طـــال المـــدى فـــي قلعـــة أو ســـفر
ولـــيس مـــن عـــذر يقـــي م حجّـــة المعتـــذر
يـــا ليـــت شـــعري والمنـــى تســـرق طيـــب العمـــر
هـــل أرتجـــي مـــن عـــودة أو رجعـــة أو صـــدر

فـــــأبرّد الغلّـــــة مـــــن ذاك الـــــزّلال الخصـــــر
مقتـــــديا بمـــــن مضـــــى مـــــن ســـــلف ومعشـــــر
نـــــالوا جـــــوار الله وه والفخـــــر للمفتخـــــر
أرجـــــو بـــــإبراهيم مـــــو لانـــــا بلـــــوغ الـــــوطر
فوعـــــده لا يمتـــــري فـــــي الصّـــــدق منـــــه الممتـــــري
فهـــــو الإمـــــام المرتضـــــى والخيّـــــر ابـــــن الخيّـــــر
أكـــــرم مـــــن نـــــال المنـــــى بالمرهفـــــات البتـــــر
ممهّـــــد الملـــــك وســـــي ف الحـــــقّ والليـــــث الجـــــري
خليفـــــة الله الـــــذي فـــــاق بحســـــن السّـــــير
وكـــــان منـــــه الخبـــــر فـــــي ال عليـــــاء وفـــــق الخبـــــر
فصـــــدّق التّصـــــديق مـــــن مـــــرآه للتّصـــــور
ومســـــتعين الله فـــــي ورد لـــــه وصـــــدر
فـــــاق الملـــــوك الصّـــــيدا بـــــال مجـــــد الرّفيـــــع الخطـــــر
فأصـــــبحت ألقـــــابهم منســـــيّة لـــــم تـــــذكر
وحـــــاز مـــــنهم أوحـــــد وصـــــف العديـــــد الأكثـــــر
برأيـــــه المـــــأمون أو عســـــكره المظفّـــــر
بســـــيفه السّـــــفاح أو بعزمـــــه المقتـــــدر
بـــــالعلم المنصـــــور أو بالـــــذّابل المستنصـــــر
بـــــابن الإمـــــام الـــــط اهـــــر البـــــرّ الزّكـــــي السّـــــير
مـــــدحك قـــــد علّـــــم نـــــظ م الشّـــــعر مـــــن لـــــم يشـــــعر
جهـــــد المقـــــلّ اليـــــوم مـــــن مثلـــــي كوســـــع المكثـــــر
ف ـإن يقصّـــــر ظـــــاهري فلـــــم يقصّـــــر مضـــــمري

- **ابن أبي حجلة**[1]: (725- 776هـ = 1325- 1375م) أحمد بن يحيى بن أبي بكر بن عبد الواحد بن أبي حجل، شهاب الدين، أبو العباس: شاعر، أديب، ناثر، وولد بتلمسان يزاوية جده الشيخ أبي حجلة عبد الواحد، ورحل مع أبويه وإخوته فزار الحجاز ودخل دمشق فأقام فيها مدة،/ ثم انتقل إلى القاهرة واشتغل بالأدب، وولع به حنى مهر، ثم ولي مشيخة الصوفية بصهريج منجك بظاهر القاهرة، ومات فيها بالطاعون. كان حنفيا يميل إلى مذهب الحنابلة، ويكثر من الحط على أهل (الوحدة) وخصوصا ابن الفارض، وقد امتحن بسببه على يد السراج الهندي قاضي الحنفية (..) له أكثر من ثمانين مصنفا في الحديث والفقه والنحو والأدب، منها ديوان الصبابة وهو أشهرها.. وعاش في الهد المملوكي بمصر.

- ابن أبي حجلة التلمساني من مصر مادحا أبا عنان هو الآخر، ردًّا على رسالته الموسومة بالدرة السنية والوسيلة النبوية. وهي في مدح الرسول ﷺ ولربما أرسلها إلى

[1] - عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص364- 365.

السلطان المملوكي الناصر حسن بن قلاوون بمناسبة المولد النبوي الشريف؛ فرد عليه ابن أبي حجلة بما نصه[1]:

عريق له في الملك مجد مؤثل ... وبيت قديم في الفخار قدامس
وآباؤه ممن حوى الملك قبله ... لهم أول عالي المحل وسادس
فأمسوا به كالسبعة الشهب في السما ... وخدامهم فيها الجوار الكوانس
ولله ما أنشأته من رسالة ... بدرتها العقد النفيس تنافس
مدحت بها أعلى النبيين رتبة ... إذا ارتفعت يوم المعاد المجالس
نبي علا السبع الطباق بنفسه ... وما للعلا إلا النفوس النفائس
لئن كنت في الزلفى برؤياه طامعا ... فما أنا من نيل الشفاعة آيس
عليه من البر السلام تحية ... تضوع وأنف الكفر بالرغم عاطس
وصلى عليه الله ما ذكر اسمه ... ولاح بوجه الأرض رطب ويابس

إن النص يكشف لنا صورة السلطان المريني الشاعر الذي يتعاطى الشعر سماعا وقولا؛ بل "إن أكثر سلاطين بني مرين كانوا من أهل العلم والمعرفة والمشاركة في فنون الأدب، وبالطبع فإن وزراءهم وحجابهم وقوادهم فضلا عن كتابهم كانوا كذلك"[2].

- **علي الخزاعي[3]:** (710 - 789 هـ = 1310 - 1387م) علي بن محمد بن أحمد بن موسى ابن مسعود، أبو الحسن ابن ذي الوزارتين، الخزاعي: بحاثة مؤرخ أديب، أندلسي الأصل. مولده بتلمسان، ووفاته بفاس. استكتبه السلطان إبراهيم المريني. ثم كتب في ديوان بني زيان بتلمسان. واستقر أخيرا في بلاط بني مرين. وصنف للسلطان المتوكل على الله أبي فارس المريني سنة 786 هـ كتابه " تخريج الدلالات السمعية، على ما كان في عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلم من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية - خ " اطلع عبد الحي الكتاني على نسخة منه غير تامة، فأضاف إليها زيادات كثيرة ونسب الكتاب كله إليه، وسماه " التراتيب الإدارية - ط " في مجلدين، وعلمت/ أن ما فات الكتاني من كتاب الخزاعي هو نحو ربعه ثم رأيت هذا الربع في إحدى خزائن تطوان الخاصة ونقلت عنه خزانة الرباط نسخة بالتصوير الشمسي"

قال علي الخزاعي التلمساني[4]: حين كبا بموسى بن السلطان أبي عنان المريني فرسه، بحي الشماعين بفاس إثر صلاة الجمعة؛ حيث أنشأ الشاعر هذه الأبيات رافعا الحرج عن الأمير:

مولاي لا ذنب للشقراء إن عثرت ... ومن يلمها – لعمري – فهو ظالمها
وهالها ما اعتراها من مهابتكم ... من أجل ذلك لم تثبت قوائمها
ولم تزل عادة الفرسان مذ ركبوا ... تكبو الجياد ولم تنب عزائمها
وفي النبي رسول الله أسوتنا ... أعلى النبيين مقدارا وخاتمها
كبا به فرس أبقى بسقطته ... في جنبه خدشة تبدو مراسمها
حتى لصلى صلاة جالسا ثبتت ... لنا بها سنة لاحت معالمها

---

[1] - ابن أبي حجلة التلمساني أحمد بن يحيى، سكردان السلطان، تح علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، مصر، ط1، 2001م، ص12.

[2] - عبد الله كنون، النبوغ المغربي في الأدب العربي،ج1 ، ص222.

[3] - خير الدين الزركلي، الأعلام، ج5، ص6- 7.

[4]- محمد بن رمضان شاوش، إرشاد الحاشر إلى آثار أدباء الجزائر، ج1، ص284.

صـــــلى عليـــــه الإلـــــه دائمـــــا أبـــــدا أزكـــــى صـــــلاة تحييهـــــا نواســـــمها

7- الأدب الجزائري خلال العهد المريني (خصائصه، تطوره، وأثره):

✓ ازدهر الأدب شعره ونثره، وعجت حضرة فاس بالعلماء والأدباء والناس، وقد زاد من تطوره ذلك التنافس بين الدويلات المتزامنة بنو زيان وبنو حفص وبنو مرين. وكان للجزائريين في دولة مرين أثر غير منكور على السياسة والأدب والمجتمع؛ وهذه شهادة لسان الدين بن الخطيب في أستاذه ابن مرزوق الخطيب، وفيها من الادلة ما يغني عن مكانة الأدب والأديب الجزائري في ذلك العهد. قال لسان الدين بن الخطيب[1]: " محمد بن أحمد بن محمد ابن محمد بن أبي بكر بن مرزوق العجيسي» من أهل تلمسان، يكنى أبا عبد الله، ويلقب من الألقاب المشرقية بشمس الدين. حاله: هذا الرجل من طرف دهره ظرفا وخصوصيّة ولطافة، مليح التوسّل، حسن اللقاء، مبذول البشر، كثير التّودّد، نطيف البزّة، لطيف التّأنّي «3» ، خيّر البيت، طلق الوجه، خلوب اللسان، طيّب الحديث، مقدر الألفاظ، عارف بالأبواب، درب على صحبة الملوك والأشراف، متقاض لإيثار السلاطين والأمراء، يسحرهم بخلابة لفظه، ويفتلهم في الذّروة والغارب بتنزّله، ويهتدي إلى أغراضهم الكمينة بحذقه، ويصنع غاشيتهم بتلطّفه، ممزوج الدّعابة بالوقار، والفكاهة بالنّسك، والحشمة بالبسط، عظيم المشاركة لأهل ودّه، والتّعصّب لإخوانه، إلف مألوف، كثير الأتباع والعلق، مسخّر الرّقاع في سبيل الوساطة، مجدي الجاه، غاصّ المنزل بالطّلبة، منقاد الدّعوة، بارع الخطّ أنيقه، عذب التّلاوة، متّسع الرّواية، مشارك في فنون من أصول وفروع وتفسير، يكتب ويشعر ويقيّد ويؤلّف، فلا يعدو السّداد في ذلك، فارس منبر، غير جزوع ولا هيابة. رحل إلى المشرق في كنف حشمة من جناب والده، رحمه الله، فحجّ وجاور، ولقي الجلّة، ثم فارقه، وقد عرف بالمشرق حقّه، وصرف وجهه إلى المغرب، فاشتمل عليه السلطان أبو الحسن أميره اشتمالا خلطه بنفسه، وجعله مفضى سرّه، وإمام جمعته، وخطيب منبره، وأمين رسالته، فقدم في غرضها على الأندلس في أواخر عام ثمانية وأربعين وسبعمائة، فاجتذبه سلطانها، رحمه الله، وأجراه على تلك الوتيرة، فقلّده الخطبة بمسجده في السادس لصفر عام ثلاثة وخمسين وسبعمائة، وأقعده للإقراء بالمدرسة من حضرته. وفي أخريات عام أربعة.."

[1] - لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج3، ص65.